CC BY

الاستلزام الحواريّ في المقال المعاصر على وفق مبدأ التعاون لبول غرايس –كتاب وإذا الصحف نشرت لأَدهم شرقاوي أُنموذجًا–

أَحمد صالح ذياب * وعبدالله خليف خضير *

تأريخ التقديم: 2022/10/4 تأريخ القبول: 2022/10/15

المستخلص:

تتناول هذه الأَوراق الاستلزام الحواري في كتاب (وإذا الصحف نشرت) لأدهم شرقاوي على وفق نظرية مبدأ التعاون لبول غرايس، وسيتضمن التعريف بالاستلزام الحواري، وبنظرية مبدأ التعاون لغرايس، ومن ثمّ يُقسّم على أربعة مطالب على وفق المبادئ المضمنة في النظرية (مبدأ الكم، مبدأ الكيف، مبدأ المناسبة، مبدأ الطريقة أو الأسلوب)، وتمثل نظرية بول غرايس إحدى أَبرز المباحث التداولية، فنالت نصيبًا من البحوث والمعالجات والمراجعات، وآثرنا تطبيقها على المقال المعاصر متخذين من كتاب أدهم شرقاوي أنموذجا للدور الذي يؤديه الاستلزام الحواري في المقال، إذ يمثل الاستلزام الحواري استراتيجية مقصودة يوظفها الكاتب لتأدية الأغراض التواصلية مع المتلقي.

الكلمات المفتاحية : مقال ، تداولية ، ادهم شرقاوي.

توطئة:

يعدّ الاستلزام الحواري من أبرز مباحث الدرس التداولي، وظهر البحث في عند الفيلسوف الأمريكي بول غرايس ولا سيّما في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1967، ثم نُشرت في مقاله "المنطق والحوار" سنة 1975، ودروسه

* مدرس/قسم اللغة العربيَّة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

* أُستاذ مساعد/قسم اللغة العربيَّة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

بعنوان محاضرات في التحاور، فحاول وضع قواعد للخطاب[1]، ثمّ طرح مجموعة أسئلة على غرار: هل للخطاب قواعد يمكن أن تكون مطّردة؟ وما نوعية هذه القواعد؟ وما مصير الخطاب إذا تمّ خرق هذه القواعد أو أحدها؟ ... الخ، وفكرة الاستلزام الحواري امتداد لنظرية جون أوستين في الفعل الكلامي، كما استفاد جون سيرل من أعمال بول غرايس في "الاستلزام الحواري" وأصول الحوار، في فصله بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر، فهناك ما هو مشترك بين النظريتين.

انطلق غرايس من قوله إنَّ المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل (مبدأ التعاون) [2]، فإذا نُقِضت هذه القواعد فإنّ التواصل لن يكون مثاليا، وأَشار إلى قضية لغوية مفادها أنّ الجمل تدلّ في غالب الأحيان على معانٍ صريحة، ولكنَّها قد تدلّ على معانٍ ضمنية تفهم بالسياق، فالمتكلم يقصد ما يقول، أو يقصد أكثر مما يقول، أو يقصد أقلّ مما يقول، ومرجع ذلك مقصدية المتكلم نفسه والسياق المحيط.

_مفهوم الاستلزام الحواري (conversational implicature):

تجيب نظرية الاستلزام الحواري عن أسئلةٍ نحو: كيف يقصد المتكلم ما لم يقله في كلامه؟ وكيف يفهم المتلقي ما لم يسمعه؟ ويكون ذلك بدراسة كيفية إيصال مقاصد المتكلم بطرائق غير مباشرة، فيُقصد بالاستلزام هنا: اقتضاء الكلام لمعنى غير معناه الحرفي، ويكون هذا المعنى المقتضى هو المقصود الأول، ووضّحه بول غرايس بقوله: "فإن قام شخص ما باستلزام (ض) عندما قال القضية (ق)؛ فإنه يعدُّ قائمًا

1 – الخطاب: "كلّ منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا" ينظر: استراتيجيات الخطاب _مقاربة لغوية تداولية_ ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، ط: 1، 2004.: 39 .

2 – ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية_ سورية، ط: 1، 2007: 84 .

باستلزام حواري" [1]، وعُرِّف الاستلزام الحواري بأنه: "شيء يعنيه المتكلم، ويوحي به، ويقترحه، ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[2]، أو هو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر[3].

عندما أسس اللغويون لنظرية الاستلزام الحواري لاحظوا أَنَّ هناك نوعين من الاستلزام في الكلام هما:

1_ الاستلزام العرفي:

إذ تستلزم بعض المفردات والعبارات دلالات معينة وثابتة لا تختلف باختلاف السياقات والتراكيب داخل اللغة الواحدة[4]، نحو دلالة كلمة (لكن) أو (but) في اللغة الإنجليزية، فهذان الحرفان يستلزمان دوما _في كل السياقات_ أنّ ما يأتي بعدهما يكون مخالفا لما جاء قبلهما، نحو: البحر هائج اليوم لكنه جميل، فالاستلزام العرفي يعرف معنى المفردات بين الجماعة الواحدة، وتفسير هذا الاستلزام يكون بالاستعانة بالمعنى المعجمي للمفردات والسياق التركيبي الواردة فيه، فهو استلزام قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة في دلالات معينة للألفاظ مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب.

2_ الاستلزام الحواري:

وهو متغير بحسب السياقات الوارد فيها، وله خصائص تميّزه عن الاستلزام العرفي.

---

1 – المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، منشور ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مجموعة مقالات ترجمة مجموعة من الأساتذة، بإشراف: د. عز الدين مجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، قرطاج_ تونس، ط:1، 2012: 624 .

2 – نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، د. صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2007م: 78 .

3 – ينظر: المصدر نفسه في الصفحة نفسها.

4 – ينظر: الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني _سورة البقرة أنموذجا_، رسالة ماجستير للباحث: عيسى تومي، إشراف: د. دليلة مزوز، جامعة محمد خيضر. بسكرة، الجزائر: 2015: 60 .

الاستلزام الحواري المعمم والاستلزام الحواري المخصص:

ونشير إلى أن الاستلزام الحواري الذي درسه غرايس هو الاستلزام الحواري المخصص، إذ فرّق بين الاستلزام الحواري المعمم والاستلزام الحواري المخصص، فالمعمم هو ما يلزم عن القول، وينشأ بعد الالتزام بقواعد الحوار الأربعة، وهو نفسه الاستلزام المنطقي أو دلالة المفهوم عند الأصوليين، ومن الأَمثلة التي يضربها غرايس على الاستلزام الحواري المعمم: الحوارُ الدائر بين شخص يقف بجانب سيارته المعطلة، وآخر يقترب منه يستفهم عن سبب وقوفه هكذا:

_صاحب السيارة: لقد نفد وقود سيارتي.

_الآخر: توجد محطة وقود في نهاية الطريق.

فصاحب السيارة يعلم أن الآخر يريد مساعدته (مبدأ التعاون) وأن سيتبع قاعدة: "قل ما له علاقة بالموضوع (الملاءمة)"، حينئذٍ يفهم صاحب السيارة أن المحطة مفتوحة في هذا الوقت، وأنها تبيع الوقود[1].

على الرغم من أنّ في هذا المثال فهم المتلقي (صاحب السيارة) استلزاما (المحطة مفتوحة) وهذا الاستلزام غير موجود في المعنى الحرفي للكلام إلا أنّ المتكلم لم يخترق أي قاعدة من قواعد التعاون؛ لذا عدّه من الاستلزام الحواري المعمم (المنطقي)؛ وتطرُّقُ غرايس في مقاله للاستلزام الحواري المعمم وضرْبُ الأَمثلة عليه لم يكن إلَّا لاستبعاده عن الاستلزام الحواري المخصص، الذي هو محور نظريته.

---

1 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 626.

*** _ الشكل منقول من كتاب: اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري– ، د. أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، ط: 2، 2010م: 29.**

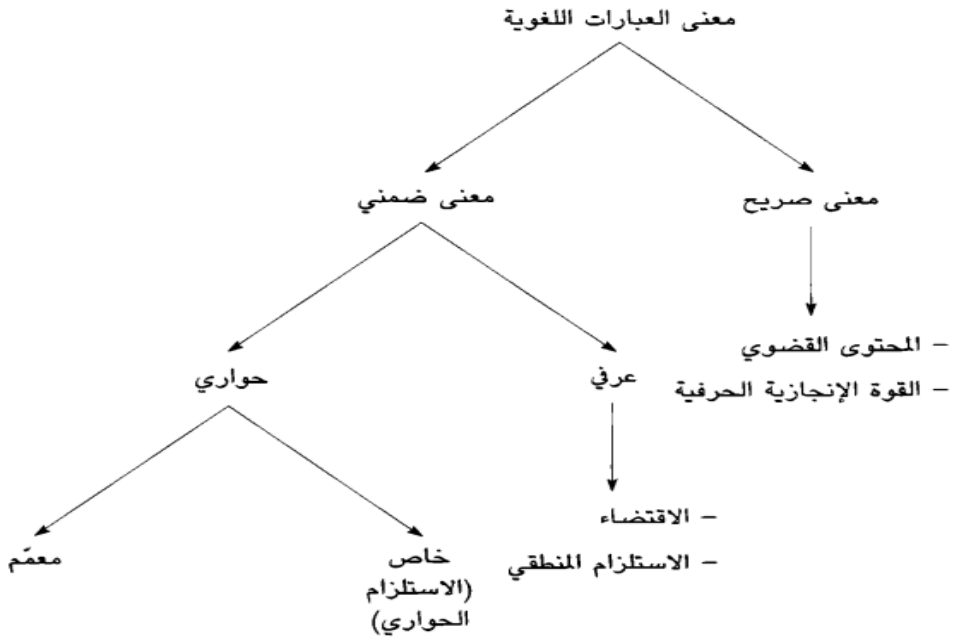

وتُمثَّل هذه الأنماط من المعاني بالجملة[1]:

_ هل تعيرني القلم الأحمر؟

فالدلالة الصريحة لهذه الجملة متمثلة بما تحيل إليه المعاني الحرفي للمفردات المستعملة في الجملة: (تعير، ياء المتكلم، القلم، الأحمر)، والمحتوى القضوي ينتج عن ضم هذه المفردات إلى بعضها، ثمّ يكون المعنى الصريح للجملة كلها بإضافة القوة الإنجازية للاستفهام المؤشر لها بالأداة (هل) والتنغيم أثناء حكي الجملة.

وتحمل الجملة دلالة ضمنية لمعنيين عرفيين وهما الاقتضاء (اقتضاء وجود قلم أحمر) والاستلزام المنطقي (كون القلم ذا لون)، ومعنى استلزام حواري خاصّ وهو أن المتكلم يلتمس من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر.

---

1 – ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_ المغرب، بيروت_ لبنان، ط: 1، 1998م:29.

الاستلزام الحواري في الفكر العربي:

عالج اللغويون العرب من ضمن ما عالجوه في فهم ظاهرة الكلام مفاهيمَ قريبة من مفهوم الاستلزام الحواري بمعناه الحديث، فقد تطرّق إليه النحويون والبلاغيون والأصوليون؛ واشتغال اللغة في بادئ التأليف على تفسير النصوص المقدسة البليغة وعلى النصوص الأدبية بما يتضمنانِهِ من معانٍ دقيقة غير مباشرة جعل لدراسة "الاستلزام الحواري" حضورا في الدرس اللغوي عامّة.

ونجد أَنَّ النحويين وضعوا أبوابًا للحذف والتقدير وأَثر مقاصد المتكلم في ذلك، إذا كان المتلقي قادرا على تفسير ذلك المحذوف، قال سيبويه: "وإنَّما أَضمرُوا ما كان يقَع مُظهَرا استخفافاً؛ ولأَنَّ المخاطَب يعلم ما يعنى، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليكَ، وقد عَرَفَ المخاطبُ ما تعنى، أَنَّه لا بأْسَ عليك، ولا ضَرَّ عليك"[1]، ففسر الحذف لعلم المخاطب، أَمَّا ابن السراج فوضّـــح تأثير المتلقي في بناء الظواهر النحويـــة فقال:" والمحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود إذا آنسوا بعلم المخاطب لما يعنون"[2]، واعتنوا بالمعاني الضمنية وأثرها في الإعراب كأن تظهر في الكلام بعض المعمولات فيقدروا لها عاملا محذوفا يفسّره السياق المحيط بها.

وبحث البلاغيون ضمنَ مباحثهم في قضايا المعاني الثواني أو ما يسميه الجرجاني "معنى المعنى" فالمعنى عنده ما يُفهم من ظاهر الكلام وتصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر[3]، ويجعل المعاني الثواني "معنى المعنى" ركيزة مهمة في الخطاب لا بل تتفوق

---

1 – الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة_ مصر، ط: 3، 1408 هـ ، 1988م: 224/1 .

2 – الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط:3، د.ت.: 324/2 .

3 – دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، مصر، ط 3، 1413 هـ، 1992م : 263.

أحيانا على أداء المعنى بطريقة مباشرة، فإذا "أعطاكَ المتكلمُ أغراضَه فيهِ مِنْ طريق (معنى المعنى)، فكنَّى، وعرَّضَ، ومثَّل، واستعار، ثم أحْسَنَ، في ذلك كلِّه، وأصابَ ووضعَ كلَّ شيءٍ منه في موضعِهِ، وأصابَ به شاكلته؛ وعمَد فيما كنَّى به، وشبَّهَ ومثَّلَ لما حسُنَ مأخذُه ودَقَّ مسلَكُه ولطُفَتْ إشارتُه، وأن المِعْرَضَ وما في معناه، ليس هو اللَفْظَ المنطوقَ به، ولكنْ معنى اللفظِ الذي دَلَلْتَ به على المعنى الثاني"[1]، ثمّ بحث طويلا في معنى المعنى في نظرية النظم، ودوره ضمن دلائل الإعجاز، فالتعبير عن المقاصد بطريقة غير مباشرة (معنى المعنى) أكثر يلزم المتلقي على الاستدلال وإثبات الأمر، وتدفعه للاقتناع بالقول، فيكون بذلك التلميح أقوى من التصريح[2].

وتكلَّم السكاكي عن الدلالة الوضعية والدلالة العقلية، فمتى ما أمكن أن يصل المخاطَب إلى المعنى من خلال اللفظ مباشرة من دون زيادة أو نقصان فهذه هي الدلالة الوضعية، أو دلالة المطابقة، أمَّا إذا تطلب الوصول إلى المعنى استدلالًا فهذه هي الدلالة العقلية، أو دلالة الالتزام[3].

- خواص الاستلزام الحواري:

وللاستلزام الحواري خواصّ تميّزه عن أنواع الاستلزام الأخرى، وأجمَلَها في الخواصّ الآتية[4]:

1_ قابليته على الإلغاء (defeasible):

---

1 – المصدر نفسه: 232 .

2 – ينظر: الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي _دراسة تقابلية مقارنة_، أطروحة دكتوراه للباحث: نور الدين بوزناشة، إشراف: د. خليفة بوجادي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر: 2016: 370 .

3 – مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 2، 1407 هـ –1987 م.: 330 .

4 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2002: 38–40 .

ويتم إلغاء الاستلزام المفترض بتعقيب بقول يسدّ الطريق أمامه، فإذا قال شخص لكاتب: لم أقرأ كلّ كتبك، فقد يستلزم ذلك أنَّه قرأ بعض كتبه، فإذا عقّب قائلها: والحقّ أني لم أقرأ أيا منها، فقد ألغى احتمالية الاستلزام المذكور.

وقابلية الاستلزام الحواري للإلغاء أهم ما يميّزه عن المعنى الصريح للكلام، أي أن المتكلم يمكن أن ينكره ما يستلزمه كلامه[1].

2_عدم قابليته على الانفصال عن المحتوى الدلالي (non-detachable):

ويقصد غرايس بذلك أنَّ الاستلزام الحواري مرتبط بالمعنى الدلالـــي للكلام لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلو استبدل المتكلم مرادفات أو عبارات أخرى عوض كلامه الأول فلا ينقطع عن الاستلزام.

ومثال هذه الخاصية الحوار المفترض بين أختين:

_ لا أريدكِ أن تتسللي إلى غرفتي بهذه الطريقة

_ أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير المفردات وطريقة التعبير بين العبارتين، إلا أن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك ما يزال قائما.

3_ التغيّر (changeability):

والمقصود بكون الاستلزام متغيرا أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سُئِل طفل يحتفل بيوم ميلاده مثلا: كم عمرك؟ فهو استفهام على وجه الحقيقة يراد به مجرد العلم، أما إذا سُئِل آخر بعمر خمسة عشر عاما فقد يكـــون لتأنيبه على تصرف سيّء قام به، ونفس السؤال لو وُجّه إلى رجل كبير فقد يكون لحثه على تحمل المسؤولية، فهذا السؤال تغير الاستلزام الذي يقتضيه باختلاف السياقات الوارد فيها.

---

1 – الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم _دراسة وصفية تحليلية تداولية_، بحث جامعي للباحث: حجر نورما وحدية، إشراف د. أندس نور هادي: جامعة مولانا إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، إندونيسيا: 2010 : 62 .

4_قابليته للتقدير (calculability):

ويعني أن المتلقي يقوم بعمليات ذهنية محسوبة حتى يصل إلى الاستلزام الذي يفسر مقصد المتكلم، خاصّة عندما تكون العبارات كنائية أو استعارية حينما ينطق المتكلم بعبارات معناها الحرفي يشير إلى شيء ولكنّ مقصده شيءٌ آخر، نحو: فلان صُنع من الحديد، فالمتلقي حين يسمع هذه العبارة يقول في نفسه: المتكلم يريد أن ينقل لي خبرا لأنه استعمل جملة خبرية، ومن المفترض أَنَّه ملتزم بمبدأ التعاون فلا يريد بها الخداع أو الكذب، فماذا يقصد في كلامه؟ لا بدّ أَنَّه يريد أن يضفي على المتحدَّث عنه صفات الحديد من القوة والصلابة وقول التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي فاستعمل هذا التعبير.

- مبدأ التعاون (Cooperative Principle):

اقترح غرايس في مقاله (المنطق والحوار) "مبدأ التعاون" بين المتحاورين، وفكرته أنّ المتحاورين في أثناء الحوار يتبعون عددا من القواعد الضمنية اللازمة لاكتمال عملية التواصل بين الطرفين[1] ، في محاولة له للإجابة عن الأَسئلة التي طرحها وهي: كيف للمتكلم أن يقصد غير ما يقوله؟ وكيف للمخاطَب أن يسمع كلاما ويفهم منه غيره؟ فاقترح "مبدأ التعاون"، وتتفرع عنه أربع قواعد أو مسلمات فرعية هي[2]:

1_ مبدأ الكم (maxim of quantity):

ويهتم بكمية المعلومات التي ينبغي توفيرها في الكلام، وتتفرع عنها قاعدتان:

أ_ اجعل تدخلك حاملا من الإفادة ما يقتضيه الغرض من الحوار.

---

1 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 619 .

2 – ينظر: المصدر نفسه: 618–625. وكذلك: اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل: 26–28، وكذلك: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: 32–34.

ب_ لا يكن تدخلك حاملا من الإفادة أكثر ممَّا يقتضيه الغرض من الحوار.

2_ مبدأ الكيف (maxim of quality):

اجعل تدخل صادقًا، وتتفرع عنه قاعدتان:

أ_ لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.

ب_ لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

3_ مبدأ الملاءمة (maxim of relevance):

اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع، فيناسب المقال المقام.

4_ مبدأ الطريقة (الأسلوب) (maxim of manner):

كن واضحا ومحددا، ويتفرع إلى:

أ_ لتحترز من الالتباس.

ب_ لتحترز من الإجمال.

ج_ لتتكلم بإيجاز، وتجنب الإطناب الذي لا داعي له.

د_ رتب كلامك.

ومن الواضح أنّ هذه المبادئ أو القواعد لم توضع من أجل ضبط الحوار أصالةً، وإنَّما وُضعت لتفسير ظاهرة التعبير عن المقاصد بطريقة غير مباشرة (الاستلزام الحواري)، فهذه القواعد يراعيها المتكلمون سليقةً بدون علم بها، إلا أن محاولة غرايس دراسة الاستلزام الحوارية دراسة علمية جعلته يتناول تمثلات هذه الظاهرة، ثمّ حاول أن يستخرج منها قواعد تحيط بهذه التمثلات[1].

وافتراض غرايس لمبدأ التعاون، وافتراض التزام طرفي الخطاب بالتعاون، والصدق، والإخلاص والوضوح، عدّه بعضهم فردوس الفلاسفة، ومخالفًا للواقع،

---

1 – ينظر: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية، عبد المنعم عبد الله السيوطي، رسالة دكتوراه بإشراف: د. إبراهيم محمود عوض، و د. هدى عطية عبد الغفار: 31 .

والحقّ أنّ الرجل لم يقصد بمبدأ التعاون التزام المتحاورين به على الإطلاق، وغالبًا ما تتم مخالفة هذا المبدأ، إنما كان يقصد أن الحوار بين البشر يجري على ضوابط محددة يدركها كل من المخاطب والمتكلم[1]، فإذا ما تمت مخالفتها تطلّب من المتلقي افتراض وجود استلزام حواريّ.

ولتعيين الاستلزام الحواري لا يكفي الاعتماد على الحدس فقط، بل بالاعتماد على المعايير التي وضعها غرايس واللسانيون ومراعاة المعطيات الآتية[2]:

- المدلول الحقيقي للألفاظ المستعملة.
- مبدأ التعاون والقواعد المدرجـــة تحته.
- سياق الخطاب المقالي (الداخلي) والحالي.
- المعلومات الخلفية السابقة.
- المعرفـــة المشتركة بين طرفي العملية التخاطبية.

الاستلزام الحواري على وفق مبدأ التعاون لغرايس

ستدرس هذه الأوراق الاستلزامَ الحواري في كتاب "وإذا الصحف نشرت" على وفق قواعد غرايس الأربعة، إذ يكون الاستلزام ناتجا عن خرق إحداها (قاعدة الكم، قاعدة الكيف، قاعدة المناسبة، قاعدة الطريقة أو الأسلوب)، وسيقسم العمل على أربعة مطالب على أساس هذه القواعد.

افترض غرايس أن المتكلمين يراعون _في أثناء كلامهم_ قواعد محددة حتى يتم التواصل بطريقة تامة، وهذه القواعد تعد ضوابط لكل عملية تخاطبية، فإذا أخل المتكلم بإحداها جعل المتلقي ينصرف عن المعنى الظاهر للكلام إلى معنى آخر

1 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: 35 .

2 – ينظر: جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية، أطروحة دكتوراه للباحث: عبد المنعم عبد الله السيوطي، إشراف: د. إبراهيم محمود عوض، ود. هدى عطية عبد الغفار، جامعة عين شمس، مصر: 2020: 33 .

يستطيع استنتاجه من سياق الكلام، أو المعرفة المسبقة المشتركة بين طرفي العملية التخاطبية.

أولًا_ مبدأ الكم (maxim of quantity):

أي أَنَّ يجعل المتكلم إسهامه في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن يزيد عليه أو ينقص منه، وعلى هذا الأساس جعلوا لهذا المبدأ قاعدتين تندرجان تحته:

1_ اجعل تدخلك حاملا من الإفادة ما يقتضيه الغرض من الحوار.

2_ لا يكن تدخلك حاملا من الإفادة أكثر مما يقتضيه الغرض من الحوار[1].

ومثال خرق قاعدة الكم في الكلام، حوار يجري بين أم وابنها، فتقول: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟ فيقول: اغتسلت.

فالأُم في هذا المثال سألت عن أمرين، فأجاب الابن عن واحد وتجاهل الثاني، فنتج عن الخرق الحاصل في مبدأ الكم استلزامٌ حواري؛ فيستنتج المتلقي من الجواب أنه اغتسل ولكنه لم يضع ثيابه في الغسالة، وهذا المعنى الخفي استُنتج من خلال الإجابة الناقصة[2].

ولو كان الجواب مناسبا (كمًّا) مع السؤال الموجه لاكتمل الاتصال، وانتفى داعي وجود الاستلزام الحواري؛ لذا يشبه غرايس مبدأ الكم بقوله: "إذا ساعدتني على إصلاح سيارة فإني أتوقع ألا تقل مساعدتك أو تفوق ما هو مطلوب منك، وإذا احتجت في مرحلة معينة إلى أربعة براغٍ، فإني أنتظر أن تمدني بأربعة براغ وليس اثنين أو ستة"[3].

والأصل في الكلام أن يكون مساويًا للمعنى المُراد إيصاله؛ فإذا حصل نقضٌ لهذا الأصل وخرقٌ لمبدأ الكم، فعلى المتلقي أن يفترض أن في الكلام استلزامًا يمكن

1 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، د. محمود أحمد نحلة: 36 .

2 – المصدر نفسه في الصفحة نفسها.

3 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 612 .

الوصول إليه من خلال السياق الوارد فيه، والمعرفة المشتركة التي تربط طرفي الحوار؛ وكان الكلام في الكتاب المدروس جاريًا على الأصل غالبًا، ولم يخلُ من خرق مبدأ التعاون وما يندرج تحته، وسنقف على نماذج لبيان الاستلزام الحواري فيها، وقد قُسِّمت على أساس القاعدتين اللتين وضعهما اللسانيون تحت (مبدأ الكم).

1_ اجعل تدخلك حاملًا من الإفادة ما يقتضيه الغرض من الحوار:

وتعني أنَّه ليكون الاتصال تامًّا بين طرفي الحوار لا بدَّ أن يكون الكلام مساويًا لما يقتضيه المقصد، فإذا كان الكلام أقل مما يقتضيه الغرض والقصد فإنّ المتلقي سيفترض أن هناك استلزامًا حواريًا يقصده المتكلمُ طالما أنهما يحترمانِ مبدأ التعاون في الحوار.

وردت مواضع حصل فيها خرق للقاعدة الأولى من مبدأ الكم نحو قوله في مقال (الكيد تهمة الرجال للنساء): "وكلٌّ من يحمل سلاحًا ليس بالضرورة أن يستخدمه، فالرجل الذي يحمل مسدسًا لن يطلق النار على كل من يلقاه"[1]، فورد هذا التمثيل في سياق الحديث عن صفة الكيد في النساء، والاستلزام الحواري هنا حاصل من خرق مبدأ الكم حيث قصد أكثر مما حمله المعنى الحرفي للعبارة، فإذا أراد المتلقي استمرار الاتصال مع المتكلم خمّن الاستلزام، فقوله: (فالرجل الذي يحمل مسدسًا لن يطلق النار على كل من يلقاه) يحمل معنًى آخر غير المعنى الحرفي فيه، وانطلاقًا من السياق فإن المعنى المستلزم من هذا التمثيل هو (المرأة التي تملك صفة الكيد لن تكيد بكل الرجال الذين ستلقاهم، فهي إن امتلكت هذه الصفة فليس بالضرورة أن تكيد بكل من يقابلها)، ويؤيد هذا الاستلزام قوله الآتي: "الكيد مرتبط بحسن التدبير بشكل عام، وليس بالشر بشكل خاص، فالقادرة على الكيد عليك، قادرة على لك"[2].

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 22–23 .

2 – المصدر نفسه: 23 .

ومن الاستلزام الناتج عن خرق مبدأ الكم ما ورد في: "لم يكن بلمر[1] أوّل من بكى مجداً ضائعاً، [...] فقبل ما يزيـــــدُ على خمسمائة سنةٍ بقليل، وقف عبد الله الصّغير[2] باكياً ضياع الأندلس، فقالتْ له أمُّه: ابكِ كالنّساءِ ملكاً لم تحافظ عليه كالرّجال!"[3]، والاستلزام كامن في قول أم الأمير (ابكِ كالنّساءِ ملكاً لم تحافظ عليه كالرّجال)، فيه من المعاني ما لم يحمله المعنى الوضعي للمفردات في التركيب، فـــالقول فيه تأنيب على تصرفه، فالبكاء بعد الهزائم سلوك عادةً ما يصدر من النساء، أما شأن الرجال أن يحافظوا على ما يملكون سلما أو حربا، وعندما سلّم أبو عبد الله الصغير غرناطة للقشتاليين جعلت تؤنبه أمه، فخسارته كانت بتقصيره وتقاعسه لأنه "لم يحافظ على ملكه كالرجال"، ويفسر هذا الاستلزامَ بقيةُ المقال، " أحياناً يكون السقوط بسبب أنّك لم تفعل الصواب لا بسبب أنك فعلتَ الخطأ! [...] عبد الله الصغير كان يعتقد أنّه لم يفعل شيئاً خاطئاً ولكنه أيضاً لم يفعل الصواب، كان عليه أن يحكم بهمة عبد الرحمن الداخل!"[4].

ويلجأ أدهم شرقاوي إلى خرق مبدأ الكم في نهاية المقال فيختم بعبارة أو فقرة تلخّص ما أراده في المقال مجملا، فتكون هذه العبارة/ الفقرة تحمل من المعاني أكثر مما يحمله معناها الحرفي، فيتولد عن هذا الخرق استلزامٌ حواريّ يفسّره

---

1 – رئيس شركة نوكيا الذي ذكره الكاتب في الفقرة التي سبقتها وهي: "في المؤتمرِ الصّحفيّ الذي تمّ فيه الإعلانُ عن بيع نوكيا إلى مايكروسوفت، ختم الرّئيسُ التّنفيذيّ لنوكيا ستيف بلمر كلمته قائلاً: نحنُ لم نفعل أيّ شيءٍ خاطئ، لكن بطريقة ما خسرنا! ثمّ بكى بلمر وبكى معه فريق إدارته!" المصدر نفسه:46.

2 – يقصد أبا عبد الله محمد الثاني عشر المعروف بأبي عبد الله الصغير، آخر ملوك الأندلس الذي سلم غرناطة للملك فرناندو والملكة إيزابيلا، ينظر: قصة الحضارة: ويليام جيمس ديورَانت (ت: 1981 م)، تقديم: د. محيي الدّين صَابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د.ط: 1408 هـ – 1988 م: 70/23 .

3 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 46.

4 – المصدر نفسه: 47 .

السياق، من ذلك ما جاء في نهايات مقال "موظفة مكتبة البصرة": "الدفاع عن الوطن ليس مهمة الجنود فقط، كل واحد منا جندي في مجاله"[1]، فقوله: كل واحد منا جندي، يُصرَفُ عن معناه الحرفي لوجود القرينة (في مجاله)، ومجالات الناس تختلف عن مجال الجندي والعسكر، وإنما أراد بالتعبير أكثر مما حمله المعنى الحرفي له، فتولد عن ذلك استلزام حواري، فأراد بهذه العبارة ما ذكره في المقال كله، وهو أن يشعر كل متلقٍ أنه مسؤول في وطنه كما شعرت موظفة مكتبة البصرة بمسؤوليتها تجاهه، وحثّ المتلقي على استشعار هذه المسؤولية كان سببَ ورود عبارة "كلّ واحد منا جندي في مجاله"، فكانت الاستلزام المتولد عنها تلخيصًا لفكرة المقال كله، فقصد أكثر مما قال.

ورد الاستلزام نفسه في ختام مقال "وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ"، في قوله: "بالله عليكم ارحمونا، يكفينا أننا سنموت يومًا ما فلا تدفنونا أحياء"[2]، فلا شكّ أن عبارة "لا تدفنونا أحياء" لا يراد معناها الحرفي، وإنما المقصد ما وراءه، فالقارئ لهذه العبارة سيعلم أنّ المقصود غير حمولة المعنى الحرفية، ولا يصل إلى المقصد منها إلا من خلال السياق، وبالعودة إلى السياق فسيجد المتلقي أن في العبارة استلزاما حواريا يفسره السياق، وفي "لا تدفنونا أحياء" استلزام يشير إلى القيود التي تحيط بالناس في المجتمع، فإذا اشتدت القيود أصبحت الحياة خالية من الحياة، وتُفسّر الاستلزام عباراتٌ وردت في المقال نحو: "وأد الأحياء هو عندما تهيل التراب على كرامتهم وأحلامهم ومشاعرهم وحقوقهم"[3] و "من الوأد أن يكون أحدنا مجبرًا على ابتلاع رأيه في كل ما يدور حوله وإلا فمصيره السجن [...]"[4].

إنّ تفسير عبارة (لا تدفنونا أحياء) بمعانٍ أكثر مما يحمله المعنى الحرفي لها هو استلزام ناتج عن خرق مبدأ الكم، فقَصَدَ المتكلِّمُ أكثر مما قال، ويمكن القول أيضا

---

1 – المصدر نفسه: 59 .

2 – المصدر نفسه: 63 .

3 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 62.

4 – المصدر نفسه:63 .

أن في العبارة استلزامًا آخر ناتجًا عن خرق مبدأ الطريقة (الأسلوب)، وتحديدًا في القاعدة (لتحترز من الإلباس)، فالعبارة المنقولة (لا تدفنونا أحياء) فيها من الإبهام ما يدفع المتلقي إلى افتراض أنّ المتكلم يقصد ما وراء هذه العبارة انطلاقًا من مبدأ التعاون، أي أنّ الاستلزام في العبارة ناتج عن خرق مبدأين مندرجين ضمن مبدأ التعاون.

2_ لا يكن تدخلك حاملا من الإفادة أكثر مما يقتضيه الغرض من الحوار:

الزيادة هنا كالإطناب في البلاغة القديمة، وهي "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[1]، فأخرج بالفائدة الحشو والتطويل، و(الفائدة) في الإطناب هي الاستلزام المتولد عن خرق مبدأ الكم، فيسعى المتلقي إلى استبانة المعنى المستلزَم من هذا الخرق اعتمادًا على مبدأ التعاون، وآلياته؛ حتى يكتمل الاتصال بين الطرفين.

ووَظَّفَ الكتابُ الاستلزام الحواري المتولد عن خرق القاعدة الثانية من مبدأ الكم تبعًا للمقاصد، نحو ما جاء في مقال (فاقد الشيء يعطيه) وتحديدا في قوله: " عندما لم تكُنْ المطبعة قد وُجدتْ بعد، شكّل الامبراطور شارلمان فرق «كَتَبَةٍ ونُسّاخ» وأقام في مدينة آخن أفضل مكتبة في ذلك العصر، شارلمان الذي ساعد الكثير على القراءة، لم يكن يعرف القراءة، ومات أميًا في بدايات العام 814م. أخبرُونا أن فاقد الشيء لا يعطيه! وهذا قد يصح في مواضع كثيرة في هذه الحياة، ولكنه ليس قانونًا لا تنفضُّ عُراه كدوران الأرض حول الشّمس، وتمدد المعادن بالحرارة، وهجرة أسماك السلمون من البحار المالحة إلى البحيرات العذبة سباحة عكس التيار لوضع البيوض!"[2]، فالكاتب قال في هذا النصّ أكثر من المقصد الذي أراده، وهذا الخرق له وظيفته، فالنص المنقول هو مقدمة للمقال (فاقد الشيء يعطيه)، وهذا العنوان يمثل المعنى المراد من النص المنقول، فأطنب في الكلام حتى يقنع القارئ بحقيقة ادعائه،

1 – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، : المكتبة العصرية، بيروت_ لبنان، د.ط، د.ت: 201.

2 –وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 40 .

بدءًا بالفقرة الأولى ومحورها (شارلمان _الأميّ الذي أقام أفضل مكتبة في عصره_)، فحملت هذه القصة معنى عنوان المقال والمعنى المراد منه، وتثنيةً بقوله: " ولكنه ليس قانونًا لا تنفضُّ عُراه كدوران الأرض حول الشّمس [...]" وذكر بقية القوانين الطبيعية الثابتة؛ ليصل إلى فكرة مفادها أن القول الشائع (فاقد الشيء لا يعطيه) يمكن نقضه فهو ليس مثل بقية القوانين الثابتة، وحاصل القول أن الكاتب أسهب هنا وخرق مبدأ الكم فذكر أكثر مما أراد؛ ووظيفة هذا الخرق هو الاستلزام الحواري المتولد عنه، وهو إقناع المتلقي بأن فاقد الشيء قادر على العطاء، ويؤيد هذا الاستلزام السياق الذي ورد وما تلته من فقرات المقال.

والموضع الآخر الذي حمل استلزاما ناتجا عن خرق مبدأ الكم بالزيادة بقاعدته الثانية (لا يكن تدخلك حاملا من الإفادة أكثر مما يقتضيه الغرض من الحوار) قوله مستشهدا: "عندما جاء الزبرقان بن بدر إلى عمر شاكيا هجاء الحطيئة يوم قال فيه:

دعِ المكـــــــــارِمَ لا ترحـــــــــلْ لبُغيتِهـــــا واقعـــــــدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعـــــــمُ الكاســـــــي[1]

أراد عمر أن يتثبّت إن كان البيت يحمل هجاءً فقال: إيتوني بحسّان! ولم يطلب معاذا وهو أعلم الناس بالحلال والحرام، ولا أبا عبيدة وهو أمين الأمة، ولا ابن عباس وهو ترجمان القرآن، لأنها قضية الشعر وأهل الذكر فيها هم الشعراء! فقال حسان: لم يهجُه فقط بل ذرق / بال عليه، فسَجَن عمرُ الحطيئةَ"[2]، إنما أراد الكاتب في هذا النص المقتبس أن يقول: يجب أن نسأل أهل الاختصاص على حسب المسألة، ولكنّه خرق مبدأ الكم فقال أكثر مما تتطلبه الفكرة الرئيسة، فولّد ذلك استلزاما حواريا مفاده، أنّ عُمرَ لما أراد أن يسأل في مسألة في الشعر، سأل حسّانًا فهو شاعر الصحابة، ولم يسأل معاذًا ولا أبا عبيدة ولا ابن عباس _رضوان الله عليهم_، وإن

1 – ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة_ مصر، د.ط، د.ت:284 .

2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي:52 .

كانوا يفوقونه علما بالحلال والحرام والتفسير والحديث، فإن كان تصرّف عمر كذلك، فالمتلقي أولى أن يقتدي بهم، ولا يسأل إلا أصحاب الاختصاص، والمقال كله يخدم فكرة أن يكون كلٌ في اختصاصه، فوُظِّف النص المقتبس بحمولته لخدمتها، ولا سيّما الاستلزام الحواري، فأن يصل المتلقي إلى الفكرة من خلال الاستلزام يكون أدعى أن تتقبلها نفسه، فإن وضع المتكلم معنى المعنى في موضعه "حسُنَ مأخذُه ودَقَّ مسلَكُه ولطُفَتْ إشارتُه"[1].

ثمّ ورد استلزامٌ في موضع آخر، السياق فيه عن الاقتباسات ونشرها، فقال: "عندما نضع جملةً عن الحُبّ فهذا لا يعني أننا في حالة هيام! وعندما نضع جملةً عن الغدر فهذا لا يعني أننا قد تلقينا طعنة للتو! وعندما نضع جملةً عن قيام الليل فهذا لا يعني أننا أمضينا الليلة على سجادة الصلاة! [...] وعندما لا نُصوّر الكتب التي نقرأها فهذا لا يعني أننا جهلة لا نقرأ! [...]"[2]، وأطنب كثيرًا بمثل هذه العبارات في بقية المقال، والاستلزام المتولد عن خرق مبدأ الكم هنا يُستشفُّ من السياق نفسه، وتفسِّره عبارات وردت في المقال مثل: "أحيانا لا نريد من الآخرين سوى أن يدعوننا [3] وشأننا"[4] ومثل: "الأمر لا يعدو كونه استعذاب للكلام لا أكثر"[5]؛ فمن هذا السياق الداخلي يفسر المتلقي الاستلزام الحواري في النص.

وحاصل القول إن الكلام في المقال جارٍ على الأصل من حيث أن يكون مساويًا لغرض المتكلم، ولا يخلو من خرقٍ لمبدأ الكم بقاعدتيه الفرعيتين، فيلجأ إلى الإيجاز ويجعل الكلام يحمل معاني أكثر من معناه الحرفي؛ عندما يريد أن يصِلَ المتلقي إلى الغرض المستلزَم استنتاجًا، فيكون المعنى المستلزَم أقرب إلى النفس،

---

1 – دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471 هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، مصر، ط 3، 1413 هـ، 1992م : 263.

2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 65 .

3 – الصواب: يدعونا.

4 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 64 .

5 – المصدر نفسه:65

ويكون الغرض أكثرَ إقناعًا، ويلجأ إلى خرق مبدأ الكم بقاعدته الفرعية الثانية فيكون التدخّل حاملا للفائدة أكثر مما يقتضيه الحوار، ولا يكون هذا الخرق إلا لفائدة يصل إليها المتلقي من خلال السياق.

ثانيًا: مبدأ الكيف (maxim of quality):

عبر غرايس عن هذا المبدأ بقوله: "لتكن مساهمتك بالموضوع صادقة"[1]، أي لا تقول قولا كاذبا، أو قولا لا تملك برهانا عليه؛ فهو على قسمين إذًا:

1_ لا تقل ما تعتقده أنه كذب.

2_ لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

ومثّل غرايس على ذلك بقوله: "إذا احتجتُ إلى مادة السكر لإعداد كعكة حلوى تساعدني فيها فإني لا أتوقع أن تعطيني ملحًا، وإذا احتجتُ في إعدادها إلى ملعقة، فإني لا أتوقع أن تمدني بملعقة من المطاط"[2].

ومثال خرق هذه القاعدة الحوار الذي يدور بين التلميذ والأستاذ:

_التلميذ: لندن عاصمة فرنسا، أليس هذا صحيحًا يا أستاذ؟

_الأستاذ: طبعًا، وبغداد عاصمة مصر[3].

ففي هذا الحـــــوار خرق وانتـــهاك لمبدأ الكيف، الذي يوجِبُ على المتكلم ألّا يقول ما هو كذب، وبغداد ليست عاصمة مصر، وقد انتهك الأستاذ هذا المبدأ عمدا ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله بشيء كهذا، وباستطاعة التلميذ أن يعرف مراد الأستاذ على وفق مبدأ التعاون، لأنه يعلم أن بغداد ليست عاصمة مصر، وهذا يستلزم أنه يريد غير ما تقوله كلماته، وهو أن إجابة التلميذ غير صحيح.

---

1 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 619 .

2 – المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 621 .

3 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمد أحمد نحلة: 36 .

ويلجأ المتكلمون _لا سيّما في الحقول الأدبية_ إلى انتهاك مبدأ الكيف من عدة طرق كالتهكم والاستعارة والتشبيه والكناية والمبالغة[1]...، وسلك أدهم شرقاوي هذه الطرق جميعها في مقالاته، على أن التهكم شكّل ظاهرة فيها، وسيقف البحثُ على نماذج متنوعة من انتهاك مبدأ الكيف والاستلزام المتولد عنه.

قد يكون انتهاك مبدأ الكيف أن يورد المقالُ قصة أسطورية أو خيالية أو مُختلقة، إذ شكّلت هذه القصص مقدمةً لمقالات عدة مثل ما ورد في مقال "مولانا الديك"[2]، فإن كانت القصة الواردة غير حقيقية ومخالفة لمبدأ الكيف، إلا أن علم طرفي الحوار بذلك يحيلها إلى استلزامٍ حواريّ يجعلها ذات مغزى، والمغزى من القصة التي أوردها أن التنازل قد يكون بسيطا، ثم تتوالى التنازلات إلى حيث لا يمكن العودة عنها.

ومن المقالات التي قُدِّمت بقصة تحمل انتهاكًا لمبدأ الكيف: "إنها مجرد لعبة"[3]، "اربطوا الحمير"[4]، "دع القلق وابدأ الحياة"[5]، فحمل الانتهاك استلزامًا وظّفه الكاتب لمقصدية المقال عموما.

---

1 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 628 .

2 – ونص القصة الواردة في الكتاب: "يُحكى أنّ ديكاً كان يُؤذّنُ للفجر كلّ يوم، فقال له صاحبه: أيها الدّيك لا تُؤذن وإلا ذبحتُك! قال مولانا الدّيكُ في نفسه: الضروراتُ تبيح المحظورات، ومن السياسة الشّرعيّة أن أتنازل قليلاً حتى أحافظ على نفسي، وعلى كلّ حال هناك ديوك غيري سوف ترفعُ الأذان! وبعد أسبوع جاء صاحبُ الدّيك وقال له: لا يكفي أن لا تُؤذن، إن لم «تُقاقي» كالدجاج، ذبحتُك! فعاد الدّيكُ وقال في نفسه: الضرورات تبيحُ المحظورات، ومن السياسة الشرعيّة أن أنحني قليلاً حتى تمرّ العاصفة، ولا بأس ببعض «المقاقاة»! وبالفعل بدأ مولانا الدّيكُ «يُقاقي»!، وبعد أسبوع جاء صاحبُ الدّيك وقال له: الآن إما أن تبيض كالدجاج أو ذبحتُك!، عندها بكى الدّيكُ وقال: يا ليتني متُّ وأنا أُؤذّنُ ولا عشتُ وأنا أحاولُ أن أبيض!" : وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 9 .

3 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 86 .

4 –المصدر نفسه: 406 .

5 –المصدر نفسه: 460 .

ويرد الاستلزام بانتهاك مبدأ الكم متداخلًا مع التهكم كما ورد في مقال "عقدة الإفتاء" في سياق تعليقه على العامّة حين يتصدرون للإفتاء بغير علم فقال: " أما عن مجالس النساء فحدث ولا حرج، في كل مجلس تجد عائشة وحفصة وأسماء! جدتي وحدها لو جمعتُ فتاويها في كتاب لفاقت مجلداته عدد مجلدات فتح الباري على شرح صحيح البخاري!"[1]، ففي قوله (في كل مجلـــس تجد عائشة وحفصة وأسماء) انتهاك لمبدأ الكيف المتضمن قاعدة (لا تقل ما تعتقد أنه كـــــذب)، وسياق الكلام والمعرفة المشتركة بين المُخاطِب والمخاطَب تصرف هذا الانتهاك إلى المعنى المستلزم منه، فأراد بهذه الأعلام أنّ النساء يرتقين مكانًا تتورّع عنه نساء أهل البيت، ثمّ أعقب بعبارة ثانية تحمل التهكّم (جدتي ...) فهو انتهاك آخر لمبدأ الكيف، لكنّ المعنى المستلزم يستطيع المتلقي تقديره من خلال السياق والمعرفة المشتركة.

وقد يمثّل المقال كاملا انتهاكًا لمبدأ الكيف كما هو الحال في مقال "عندما طفت العالم" فبدأ بقوله: "لمن لا يعرفني، أنا رحّالة كابن بطوطة، أهوى السّفر ولا أكاد أستقرُّ في بلدٍ! زرتُ بلاداً لم يسمعْ عنها السّندباد! واجتزتُ بحاراً لم يتبللْ علي بابا بقطرةٍ من مائها! [...] بلغتُ حدوداً لم تبلغها غيمة الرّشيد التي كان يقول لها: أمطري حيث شئت فسيعودُ إليّ خراجكِ!"[2]، ثمّ بدأ بذكر البلاد التي زارها والتجارب التي خاضها، ويحتمل أنّ ما ذُكِر في هذا المقال على وجه الحقيقة ولا يحمل خرقًا لمبدأ الكيف لولا أنه ختمه بقوله: "بقي أن أخبركم أني لا أُسافر [...]، ولكني قررتُ رغماً عن هذا الكوكب وحكوماته أن أسافر، فقرأتُ، كثيراً قرأتُ، لأني اكتشفتُ أنّ الكتب جوازات سفر الفقراء والمضطهدين والمطرودين"[3]، بهذا التعبير بيّن أنّ ما ذكره في بقية المقال لم يحصل في الحقيقة، ومن ثمّ خالف الكلامُ قاعدةَ (لا تقل ما تعتقده أنه كذب) ليحمل استلزاما حواريّا قصده الكاتب من خلال هذا الخرق، وهو أن القراءة تمنحك تجارب يمكن أن تعيشها كأنها حقيقة وإن لم تكن كذلك.

---

1 – المصدر نفسه: 13.

2 – المصدر نفسه: 16

3 – المصدر نفسه: 21.

وانتهج الكاتب هذا النمط في مقال "ما معاق غيركم" حيث برزت ظاهرة انتهاك مبدأ الكيف فيه، وموضوعُ المقال تعليقٌ على نية منظمة الصحة العالمية إعلان أنّ الإعاقة ستشمل العازبين والعازبات، وكمن الاستلزام الحواري في صياغات متعددة، كالاستفهام المجازي، والإخبار المشتمل على انتهاك مبدأ الكيف، أو في الاستعارة، فبعد ذكر مناسبة المقال طرح سؤالًا مجازيا: "هل تعيش منظمة الصحة العالمية معنا على هذا الكوكب؟!"[1]، وعلم المتكلم والمتلقي بجواب هذا السؤال يجعل منه استلزاما حواريا، فالمتلقي يعلم أنّ المنظمة تعيش في هذا الكوكب، وهو يعلم أن المتكلم يعلم ذلك، وفي ظلّ المعرفة المشتركة بين طرفي الحوار يفترض المتلقي أن المتكلمَ يقصد أمرًا آخر غير حقيقة السؤال، ألا وهو الإنكار على ما تعتزمه منظمة الصحة العالمية من نية تصنيف العزوبية ضمن الإعاقات، وأعقبت هذا السؤالَ ثلاثةُ أسئلة: "هل تعرف أن العزوبية في كثير من الأوقات قهرٌ نزل بالإنسان وليس اختيارًا [...]"[2]، وجميعها أسئلة تنصرف إلى المجاز، وانتُهك المبدأ من خلال الاستعارة في قوله: " [...] أما أن تمرض منظمة الصحة العالمية فهذا شيء لم يكن بالحسبان!"[3]، ويمكن تفسير الاستلزام المتولد عن هذا الانتهاك في كون المنظمة جانبت الصواب أو أنّها عجزت عن أداء وظائفها كما يعجز المريض.

وانتُهِكَ مبدأ الكيف في عبارات: "المعاق هو من أغلق أبواب الوظائف أمام الذين أفنوا أعمارهم على مقاعد الدراسة وبين الكتب. المعاق هو من أشعل الحروب لتحرق الشباب وترمل النساء وتهدم البيوت [...]"[4]، ويكمل بقية المقال بطرح مثل هذه العبارات، وهي تنتهك قاعدة (لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه)، وبهذا الأخبار أراد الكاتب أن يوجّه المسؤولية و"الإعاقة" إلى أطراف أخرى أسهمت _من وجهة نظره_ بمشكلة العزوبية.

---

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 193 .

2 – المصدر نفسه: 194 .

3 – المصدر نفسه: 193

4 – المصدر نفسه: 194.

أما التهكّم الذي جعله غرايس من طرائق انتهاك مبدأ الكيف في الكلام[1] فكان له حضور بارز في الكتاب، والتجأ إليه في مقالات كثير ليصل من خلاله إلى الاستلزام الذي يؤدي مقصد المقال ومحتواه، وسنقف على نماذج لبيان كيفية توظيف التهكم والاستلزامِ الحواري المتولد عنه، ومنها ما جاء في مقال "شريعة الغاب"، وموضوعه هو الحديث عن "شريعة الغاب" أو بتعبير آخر عن الظلم الذي تفرضه القوى الكبرى لا لشيء سوى لامتلاكها القوة، فيقول: " جائزةُ نوبل التي اخترعها " ألفرد " تكفيراً عن اختراعه للديناميت يبدو أنّها صارت من نصيبِ من يستخدمُ الديناميتَ أكثر! ما دام لديك جيوشٌ جرارة وتسكنُ في البيتِ الأبيض يمكنكَ أن تحصلَ على لقب ملكة جمال العالمِ لو أردت !"[2]، فالتهكم كامن في العبارتين الأولى: "جائزةُ نوبل [...] يبدو أنّها صارت من نصيبِ من يستخدمُ الديناميتَ أكثر" ، والاستلزام الحواري المتولد من هذا التهكم يفيد إنكار منح جائزة نوبل للسلام لمن قاد الحروب، ثمّ يبرز التهكم بشكل أوضح في العبارة التالية: "ما دام لديك جيوشٌ جرارة وتسكنُ في البيتِ الأبيض يمكنكَ أن تحصلَ على لقب ملكة جمال العالمِ لو أردت"، وكلٌّ من المتكلم والمتلقي يعلمان أنّ هذا القول غير صحيح، ومخالف لمبدأ الكيف، لكنّ علمهما بذلك يجعل الثاني يفسّر العبارة بمعانٍ يمكن أن يوحي بها ظاهرها، كحصول أصحاب القوة _وأصحاب البيت الأبيض_ على ما يريدون بقوتهم لا بحقوقهم، فوظّف الكاتبُ التهكم لإقناع المتلقي بموضوع المقال وعنوانه "شريعة الغاب".

وفي مقال آخر بعنوان: "كذب ضمن الضوابط الشرعية" وُظّف التهكم لأداء مقاصده، وموضوع المقال عن الأكاذيب التي تُقَوْلب ضمن الدراسات العلمية افتراءً، لإعطاء تلك الأكاذيب طابعا علميّا فتُصدّق وتنتشر، ويعلّق على إحداها بقوله: " [...] طبعاً هذه المعلومة لا تعدو كونها خرافة والذي قام بها يعرف عن العلم كما

1 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 628 .
2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 91 .

تعرف فيفي عبده عن رجال السّنّد في صحيح البخاريّ!"[1]، والاستلزام المفهوم من هذا الانتهاك والتهكم هو إثبات جهل الذي ادّعى هذه الدراسة.

وُظِّف التهكم في خواتيم مقال "إنّهم يسرقوننا"، وموضوعه عن الدعايات التجارية والتسويق، فيقول: "من أكثر الدّعايات استفزازاً لي تلك التي تقول: اُنتُخِبَ هذا المنتج من قبل المستهلك كمنتج العام! أنا ككل مواطني هذا العالم العربيّ ودوله مستهلك جيّد! ولم يحدث مرّة أن دعاني أحد لأنتخب، إنّهم يُنصّبون المنتجات ويبايعونها ونحن نبايع كما نبايع كل المنتجات التي لا يد لنا في تنصيبها! كثيراً ما حلمتُ أن أمارس حقّي الديمقراطي [...]"[2]، وانتهاك مبدأ الكيف في هذا السياق استلزم السخرية على الادعاءات التجارية، ويتضمّن أنّ ما يطرحه المنتجون لتسويق منتجاتهم مخالف للحقيقة، ليصل من خلال هذه الآلية إلى غرض المقال العامّ وهو أنّ الإعلانات التجارية احتيال وتسويقها للمستهلك فيه سرقة.

يعود للسخرية في المقال نفسه: أرجو من أيّ مواطنّ عربيّ إذا علم بأي انتخابات ديمقراطيّة بين المنتجات أن يخبرني لأحضر وأدلي بصوتي، [...] حفاظاً على التقاليد العربيّة، وعدم التّشبه بالكفّار!"[3]، إنّ الكاتب حتمًا لا يقصد ظاهر ما يحمله هذا النصّ، لذا يستلزم من المتلقي تفسيره بمقاصد من ورائه، فانتهاك مبدأ الكيف هنا يراد منه سخرية الكاتب من الممارسات الديمقراطية في البلدان العربية، فجعل الانتخاباتِ التجارية معلومةَ الكذبِ التي ذكرها من "التقاليد العربية"؛ وبهذا الخرق والاستلزام أراد أن يُوصِل للمتلقي أن التقاليد العربية في الديمقراطية مثل تلك الديمقراطية التي يدعيها المنتجون.

---

1 – المصدر نفسه: 97 .

2 – المصدر نفسه: 136 .

3 – المصدر نفسه: 136 .

ومما يوضع تحت انتهاك مبدأ الكيف ادعاءاته في بعض المقالات مثل: "هناك دراسةٌ علميّةٌ تعزو ارتفاع معدّل الأعمار عند شعب الأسكيمو إلى «حُجرة دماغيّة» أسماها العلماء «حُجرة الحياة الطويلة» استطاعتْ أجسامُهم أن تطوّرها على مدى آلاف السنين مستفيدة من الطاقة الكامنة في الثلج! وهناك دراسةٌ علميّةٌ أخرى [...] نستنتجُ من الدّراستين أثر الوعاء الجغرافيّ على حياة الإنسان! وأنّ ليس كل ما نراه سيئاً هو سيئ فعلا، وليس كل ما نراه جيّداً هو جيّد فعلاً! [...] في الحقيقة هذه «الدراسات العلميّة» قمتُ أنا بتأليفها، وقد لزمني ذلك مقدار ما يحتاج أحدكم لارتشاف فنجان قهوة"[1]، فالكاتب بعد سرده ما ادعى أنها دراسات علمية قام ونقض كلامه بكونها من تأليفه، فليس لها أصل علمي؛ مما جعل سردها ههنا انتهاكا لقاعدة (لا تقل ما تعتقــد أنـــه كذب)؛ وهذا الادعاء والانتهاك المتولد عنه أورده الكاتب لأجل الاستلزام الحواري الكامن فيه، وهو أن ليس كل ما يرد بعد عبارات "دراسات علمية" هو في الحقيقة دراسات إن علمية، قد لا يعدو كونه كذبا يراد له الانتشار أو القبول؛ ولذا يختم مقال بقوله: "إن كنت ستصدّق كل ما تقرأ فلا تقرأ!"[2]، وقد كرّر الكاتب هذا الأسلوب في انتهاك مبدأ الكيف في مواضع أخرى من الكتاب[3] ليحمل الانتهاكُ الاستلزامَ نفسَه.

وحاصل القول إن الكاتب يلجأ إلى انتهاك مبدأ الكيف والقاعدتين المنضويتين تحته توظيفًا للاستلزام الحواري المتولد عن هذا الانتهاك، فينتهك القاعدة القائلة: (لا تقل ما تعتقده أنه كذب) من خلال إيراد قصص خيالية أو أسطورية في مقدمة المقال، ليبني على أساس هذا الانتهاك والاستلزام المتولد عنه صدرَ المقال وموضوعه، وقد يكون نقض مبدأ الكم من خلال أساليب أخرى كالتهكم والتشبيه والاستعارة.

ثالثا: مبدأ الملاءمة[4] (maxim of relevance):

---

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 117

2 – المصدر نفسه: 118 .

3 – ينظر: المصدر نفسه: 97 وكذلك: 125 .

4 – وتعددت ترجمات المصطلح، فأطلقوا عليه: مبدأ العلاقة، مبدأ المناسبة، النسبة.

ويشير إلى أن يجعل المتكلم كلامه ذا علاقة مناسبة بالموضوع، فيناسب المقال المقام، وهو باب شغل عناية اللغويين الأوائل، وجعلوا إحراز المنفعة من الكلام لا تتمّ إلا بمناسبة المقال للمقام[1]، ويضرب غرايس مثالا على مبدأ المناسبة: فإذا كنت بصدد إعداد حلوى فإني لا أتوقع مدّي بكتاب[2].

ويقتضي هذا المبدأ أن يكون طرفا الحوار متعاونين بحيث يكون حوارهما مناسب للمقام فلا يخرج عنه، فإذا حدث خرق لهذا المبدأ فأجاب أحدهما بما يوحي أنّ الإجابة غير مناسبة للموضوع فعلى الآخر أن يفترض وجود استلزامٍ حواريّ مناسب للمقام، وهذا مثال لحوار بين رجلين:

–أين زيد؟

– ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

فالمعنى الحرفي للإجابة ليس إجابةً عن السؤال (إين زيد؟)، وفيه انتهاك لمبدأ المناسبة، ولكنّ المتلقي وفق مبدأ التعاون يسأل نفسه ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف سيارة صفراء أمام منزل عمرو والسؤال عن مكان زيد؟ فيصل إلى أن في الكلام استلزامًا حواريًّا، يحمل رسالة مؤداها أنه إذا كانت لزيد سيارة صفراءُ فلعله عند عمر [3].

ويكون انتهاك مبدأ الملاءمة بطرائق عدة، كالتعريض في الكلام، "وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال"[4]، كما قد يكون الانتهاك في تلقي السائل بغير ما يتطلب، فيستلزم الكلام معنى آخر.

---

1 – ينظر: البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ (ت: 255هـ)، قدم له: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت_ لبنان، د.ط: 1423هـ: 129/1 .

2 – ينظر: المنطق والحوار، بول غرايس، ترجمة: محمد الشيباني، سيف الدين دغفوس، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: 621 .

3 – آفاق جديدة في البحث اللغوي، د. محمود أحمد نحلة: 37 .

4 – البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: 1: 1416 هـ – 1996 م/ 152/2 .

يجد القارئ لمقالات أدهم شرقاوي أنه يُكثر في عناوينها ومقدماتها من إيراد أمثال وقصص وأقوالٍ مأثورة تكونُ عتبةً لها، ثمّ يفرش المقال على أساس ما قدّم له، ويحمل التعريض بذكر هذه الأمثال والأقوال انتهاكا لمبدأ الملاءمة؛ فيكون الاستلزام الحواري المفهومُ منها موضوعَ المقال.

من المقالات التي حمل عنوانها تناصًّا: (وإذا الموءودة سُئلت)[1]، والتناص مع الآية الكريمة في سياق أحداثٍ من اليوم الآخِر، وعن عادة بعض عرب الجاهلية في وأد البنات، وقد يسأل القارئ: ما علاقة وأد البنات قبل حوالي خمسة عشر قرنًا بموضوع المقال؟ ففي العنوان انتهاك لمبدأ الملاءمة، ويُفسّر الاستلزام المفهوم منه حين يُقرأ المقال، فموضوعه عن "وأد الأحياء"، فكما أنّ الموءودة ظُلِمت بدفنها من غير ذنب، فكثير من الذين ذكرهم المقال مظلومون بدفنهم أحياءً _على وجه المجاز_، ولا يسع السياق ذكر المقال كاملا، ولكنّ الاستلزام يتوضّح أكثر بإيراد هذه الفقرة: " والوأد ليس بالضرورة أن يكون على طريقة الجاهليين، حفرة صغيرة لبنت صغيرة ليس لها ذنب ولا جريرة يهيل أبوها عليها التراب ويمضي [...] وأد الأحياء هو عندما تُهيل التراب على كرامتهم وأحلامهم ومشاعرهم وحقوقهم!"[2]، فيصل المتلقي إلى أن انتهاك مبدأ الملاءمة ولّدَ استلزاما مفاده أنّ الوأد ما زال وإن تغيّر شكله.

وبدأ سلسلة مقالات بأقوال مأثورة حملت انتهاكًا لمبدأ الملاءمة، مثل مقال (ألأم الثلاثة)[3]، وهو قول المنذر بن ماء السماء: فلا أكون ألأم الثلاثة، وتفسير

---

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 62 .

2 – المصدر نفسه في الصفحة نفسها.

3 – "فلا أكون أنا ألأم الثلاثة! القائل: المنذر بن ماء السماء، أما القصة، [...] أن المنذر جعل له في العام يوم سعد ويوم بؤس، فأول من لقيه يوم سعده أعطاه مائة ناقة، وأول من لقيه يوم بؤسه قتله، تماما كما فعل بعبيد بن الأبرص. وأنه خرج في يوم بؤسه فكان أول من طلع عليه رجل من طيء أخرجه الفقر والحاجة ليطلب شيئًا لأولاده، فلما وقف بين يدي المنذر علم أنه مقتول لا محالة! فقال للمنذر: حيا الله الملك، إن لي صبية صغارًا وأهلًا جياعًا، وقد أرقتُ ماء وجهي في طلب الذي معي لهم، فإن أذنتَ أن أذهب إليهم فأعطيهم ما جمعتُ وأعود إليكَ لتقتلني، فقال المنذر: لا آذنُ لكَ

الانتهاك والاستلزام الذي أدّاه يُفهم من تكملة المقال، ولخّصها الكاتب في الدروس المذكورة والمستقاة من القصة، فإذا كان المنذر لم يرتضِ لنفسه أن يكون ألأم الثلاثة، والباقيان لم يرتضيا أن يذهب الوفاء والمروءة، فالمتلقي يفهم استلزاما مفاده ألّا يكون ألأم منهم.

ومنها مقال: (إنما نعطي الذي أعطينا)، وهو شطر من أرجوزة سار بين الناس مثلا، قالته زوجة أعرابي يدعى أبا الذلفاء، "كان لا يُنجب إلا الإناث، فطلّق امرأته وتزوج غيرها طمعاً أن تُنجب له ولداً، فأنجبت الزوجة الجديدة بنتاً، فصبر عليها، ثم أنجبت له بنتاً أخرى فهجرها، وتحوَّل عنها إلى بيتٍ قريبٍ منها، فلما رأت ذلك، أنشدت وهو يسمع:

ما لأبي الذّلفاء لا يأتينا *** وهو في البيت الذي يلينا
يغضب إن لم نلد البنينا *** وإنما نعطي الذي أُعطينا[1]

فلمّا سمع ذلك، طابت نفسه ورجع إليها!" [2]، والشطر في الأرجوزة في الأصل يحمل تعريضًا، وانتهاكًا لمبدأ الملاءمة بانتقالها من الشطر الثالث إلى الرابع،

حتى يضمنك رجلٌ منا أنك ستعود فإن لم تعد قتلته مكانك! فالتفتَ الطائي إلى شريك بن عدي وكان نديمًا للمنذر، وقال له: لقد بلغني خبر مروءتك فهل أنت ضامني حتى أدفع لأهلي وأعود؟! فقبل شريك وذهب الطائي، ثم لما صار العصر، قال المنذر لشريك: لم يرجع صاحبك، فقم وتجهز للقتل! فقال شريك: ليس للملك عليّ سبيل حتى تغرب الشمس، فلما كادت الشمس أن تغرب قال المنذر لشريك: قم للقتل، ولما قام شريك، نظر القوم فإذا رجل جاء من بعيد يركض، فإذا هو الطائي، فلما وقف على المنذر قال له: الآن فليكن أمرك! فأطرق المنذر ثم قال: ما رأيتُ أعجب من اليوم، فأما أنت أيها الطائي فلم تترك لأحد في الوفاء بعدك لأحد مكانًا، فما حملك أن تعود؟! فقال: كي لا يذهب الوفاء من الناس! وقال لشريك: أما أنت فلم تترك لأحد في المروءة بعدك مكانًا، فما حملك على ضمانة الطائي؟ فقال: كي لا تذهب المروءة من الناس! فقال المنذر: أما أنا والله لا أكون ألأم الثلاثة، أشهدكم أني قد رفعتُ يوم بؤسي عن الناس!" وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 171–172 .

1 – ينظر المثل: مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت: 518هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، د:ط، د.ت: 64/1 .

2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 346 .

وقولها: "إنما نعطي الذي أعطينا" قصدت أن إنجابها البنات إنما بما حملته من المخاطّب زوجها، فلا ذنب لها بذلك؛ لذا فهم الأعرابي قصدها ورجع إليها.

وتوظيف الكاتب لهذا المَثَل عنوانا لمقاله انتهاك لمبدأ الملاءمة، فالمتلقي يطرح سؤالًا: ما العلاقة بين أرجوزة الأعرابية ومضمون المقال؟ وهذا الانتهاك يحمل استلزامًا حواريًّا، يفهمه المتلقي من سياق إيراده، ومن تفصيل المقال، ويفيد الاستلزامُ جملة أمور: أننا مفطورون على تعليق المشكلة على مشاجب الآخرين من غير أن نعي أن المشكل قد تكون فينا، ويفهم منه ذمّ التبرّم والسخط من أقدار الله كما فعل أبو الذلفاء، كما يفهم منه أنّ الرجوع إلى الحقّ خير من التمادي في الباطل[1]، وهذه الاستلزامات من القول الذي جعله عنوانا، فصّل فيها في أثناء المقال.

واختار مثلًا آخر ليكون عنوانا للمقال: "أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة"[2]، والقول للخارجيّ عمرو التميمي، قاله حين أراد قتل عمرو بن العاص، فقتل خارجة لأنه أمّ الناس مكانه، فصار القول مثلا لمن أراد شيئا فأصاب غيره، ولم يكن غرض المقال سرد ما وقع في تلك الليلة، إنما أورده لعموم لفظه لا لخصوص سببه؛ لذا فإن هذا الانتهاك لمبدأ الملاءمة أفاد استلزامًا حواريًّا وُظِّف لبيان أنّ قدر الله ماضٍ وإن

---

1 – المصدر نفسه: 346–348 .

2 – وقصته "أن الخوارج لما رفضوا قبول علي بن أبي طالب رضي الله عنه للتحكيم في معركة صفين، عزموا على قتل الثلاثة عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، فتوجه عبد الرحمن بن ملجم إلى الكوفة لقتل علي، والبرك بن عبد الله إلى الشام لقتل معاوية، وعمرو التميمي إلى مصر لقتل ابن العاص، وعزموا أن تكون صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان موعدًا لهذا، [...]، وأما عمرو بن العاص فقد اشتكى وجعًا في بطنه فأمر خارجة قائد شرطته أن يؤم الناس، فطعن التميمي خارجة فقتله ظنّاً منه أنه من أراد، ولما جيء به إلى عمرو بن العاص قال له: ألم أقتلك؟ فقال عمرو: بل قتلت خارجة، فقال: أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة! فصارت مثلًا!" : المصدر نفسه: 372، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت_ لبنان، ط: 1 : 1425 هـ: 189/2 .

خطط العبد لغيره، "وإنّ السخط على قدر الله لا يغيره، وإنما يجتمع على الإنسان إثم السخط وشر ما وقع"[1].

وحملت مقالات أُخرى عناوينَ من الأمثال والمأثور نحو: "لا يشكونّك أحد إلى الله"[2]، و"حسبُك من الشر سماعه"[3]، و"أَخرجوا يديّ من التابوت"[4]، و"خير الشرين"[5]، و"أرحني من سجعك"[6]، و"ولا يوم الطين؟"[7]، و"جوّع كلبك يتبعك"[8]، و"من عزّ بزّ"[9]، و"أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك"[10]، و"إياك أعني واسمعي يا جارة"[11]، و"إنما يحفل بالحب النساء"[12]، و"إذا عزّ أخوك فهُن"[13]، و"أكلت يوم أكل الثور الأبيض"[14]، "والفاضي يعمل قاضي"[15]؛ وحاصل القول: إن الكاتب وظّف الكثير من الأقوال المأثورة والأمثال، "وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 373 .
2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 76 .
3 – المصدر نفسه: 174 .
4 – المصدر نفسه: 211 .
5 – المصدر نفسه: 245 .
6 – المصدر نفسه:297 .
7 – المصدر نفسه: 300 .
8 – المصدر نفسه: 303 .
9 – المصدر نفسه: 306 .
10 – المصدر نفسه: 340 .
11 – المصدر نفسه: 346 .
12 – المصدر نفسه: 349 .
13 – المصدر نفسه: 426 .
14 – المصدر نفسه: 428 .
15 – المصدر نفسه: 435 .

في جملة المقال"[1]، فمثّل التعريض انتهاكًا لمبدأ الملاءمة، وحمل استلزاما حواريا يفهمه المتلقي من سياق المقال.

ويكون انتهاك مبدأ الملاءمة بما أَسماه البلاغيون: تلقي السائل بغير ما يطلب، ومن ذلك ما ورد في أحد المقالات: "قال رجلٌ لنسوة: إنكنَّ صاحبات يوسف! فقلن له: فمن ألقاه في الجبّ؟ فقال: ومن ألقاه في السجن؟"[2]، فسؤالهنّ ردًّا على كلامه لا يراد منه الاستفهام الحقيقي؛ لأن الجواب معلوم، وردّه عليهنّ بسؤال أيضًا لا يراد منه حقيقة السؤال، فكان كلّ ردٍّ منتهكًا لمبدأ الملاءمة؛ لأنه ليس جوابًا على السؤال المطروح، والاستلزام الذي أداه هذا الانتهاك مفهوم من السياق، فردّهن أفاد بتوجيه تهمة الكيد إلى الرجال لأنهم هم من ألقوا يوسف في الجبّ، واستلزم ردّه الأخير أنّ الكيد للنساء لأنهنّ ألقينَه في السجن.

ومن تلقي السائل بغير ما يطلب ما ورد في مقال: "كانوا قوما يتسولون": "ووقف شاعر معوج الفم أمام أحد الولاة ليمدحه، ولكن الوالي لم يعطه شيئا، وإنما سأله: فما بال فمك معوجا فقال له: من كثرة الثناء على الناس بالباطل!"[3]، وإنما أراد الوالي بسؤاله ازدراء الشاعر، فكان في الجواب خرقٌ لمبدأ الملاءمة، وحمل استلزاما مفاده أن الشعر الذي مدح به الوالي كان كذبا وباطلا.

وباب انتهاك مبدأ الملاءمة باب كبير، ويضمّ داخله مواضيع كثيرة، كالتعريض، والاستعارة، والمجاز، وتلقي السائل بغير ما يطلب، وخروج الطلب أو الخبر لا على مقتضى الظاهر، واكتفينا بذكر نماذج محددة في هذه الأوراق؛ بيانًا لما تؤديه من استلزام حواريّ من خلال انتهاك مبدأ الملاءمة.

رابعا: مبدأ الطريقة[4] (maxim of manner):

والقاعدة الرئيسة لهذا المبدأ: (كن واضحا ومحددا)، وتتفرع إلى:

---

1 – البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن الميداني/ 152/2 .

2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 22 .

3 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 44 .

4 – وتُرجِم بمصطلحات أخرى: مبدأ الوضوح، الأسلوب، الجهة.

أ_ لتحترز من الالتباس.

ب_ لتحترز من الإجمال.

ج_ لتتكلم بإيجاز، وتجنب الإطناب الذي لا داعي له.

د_ رتب كلامك.

وهذا المبدأ متداخل مع المبادئ الغرايسية الأخرى، والقواعد المنضوية تحته تشابه قواعد المبادئ الأخرى، فالقاعدتانِ: (لتحترز من الإجمال – لتتكلم بإيجاز، وتجنب الإطناب الذي لا داعي له) متداخلتان مع مبدأ الكم القاضي بأن يكون الكلام على قدر المعنى المطلوب، لا بإيجاز مخلّ ولا بزيادة غير ضرورية، أما القاعدة: (لتحترز من الالتباس) فتتداخل مع مبدأ الكيف، القاضي بأن يكون الكلام صادقًا.

ومثال انتهاك مبدأ الطريقةِ الحوارُ بين الرجلين:

أ- ماذا تريد؟

ب-قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

فالمتكلم (ب) انتهك مبدأً من مبادئ الطريقة وهو: (أوجز)، وكان يكفي أن يقول: افتح الباب، لكنّ انتهاكه لمبدأ الطريقة يجعل من (أ) يفترض وجود استلزام حواري دعا له السياق، كأنْ يكون في كلامه توبيخ على بطئه وكسله[1].

وانتُهِك مبدأ الطريقة وقاعدة الاحتراز من الالتباس في مواضع عدة من الكتاب المدروس، منها من نثر كلام الكاتب ومنها مما نقله عن غيره نحو ما ورد في مقال: "كانوا قومـــا يتسولون": "وقف شاعر معوجّ الفم أمام أحد الولاة ليمدحه، ولكنّ الوالي لم يعطِه شيئا، وإنما سأله: ما بال فمك معوجًّا؟ فقال الشاعر: من كثرة الثناء على الناس بالباطل"[2]، فجواب الشاعر بمعناه الحرفي في التباس، إذ ليس (كثرة الثناء على الناس بالباطل) بجواب منطقيّ عن سبب اعوجاج فمه، لكنّ امتلاك المتلقي

1 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، د. محمود أحمد نحلة: 37 .

2 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 44 .

للكفاءة الحجاجية مع الأخذ بالحسبان الأبعاد التداولية للكلام، لا سيّما امتناع الوالي عن العطاء، يصرف الكلام عن معناه الحرفي إلى استلزامٍ حواريّ يتطلبه السياق، وانطلاقا من افتراض التعاون بين أطراف الحوار، يطرح المتلقي سؤال لفهم الالتباس الحاصل: ما علاقة الثناء على الناس بالباطل باعوجاج الفم؟ لا بدّ أن الشاعر أراد أمرًا آخر في كلامه، فهو قصد أنّ ثناءه على الوالي كان باطلا.

ومما انتهك قاعدة الاحتراز من الالتباس عنوان مقال: "شكرا فرعون"[1]، فالمعرفة المشتركة بين طرفي الحوار تجعل من هذا العنوان ملبسًا، من حيث ارتباط فرعون بالظلم والبطش وادعاء الربوبية، فكيف يوجّه الشكر لمثله؟ ويستطيع المتلقي تفسير الاستلزام المتولد عن هذا الخرق من خلال مراعاة السياق المقالي في النصّ، ومنه يعرِف أنّ المقصود هو الشكر على الدروس المستوحاة من قصة فرعون وموسى _عليه السلام_ والمُضمّنة في المقال، لا الشكر لشخص فرعون، والاستلزام مشابه في مقال: "عذرًا بابا نويل"[2].

وأورد الكاتب حوارًا مثّل به عن التقعّر في الكلام: " [...] كما فعلَ أبو علقمة النحويّ عندما نزلَ به مرض، فذهب إلى الطبيبِ وقال له: أمتعَ الله بكَ، إني أكلتُ من لحومِ هذه الجوازم، فطسئتُ طسأةً فأصابني وجعُ الوابلةِ إلى ذاتِ العنق، فلم يزلْ يربو وينمُو حتى خالط الحلبَ والشراشيف، فهل عندكَ دواء؟! فقال الطبيب: خُذْ حرقفاً وسلقفاً فزهدقه وزقزقه واغسله سافراً بماء روث واشربه!، فقال له أبو علقمة: لم أفهم منكَ شيئاً، فقال له الطبيب: قاتل الله أقلنا إفهاماً لصاحبه!"[3]، فعندما خرق الطبيب قاعدة الوضوح بقوله: خُذ حرقفاً وسلقفاً فزهدقه ... أراد أن يصل النحويّ إلى استلزام متولد عن الالتباس، فكلام الطبيب غير المفهوم يقصد به أن يفهم الآخر أن كلامه غير مفهوم كذلك، وقد ورد هذا الحوار المبهم في المقال منتهِكًا لمبدأ الطريقة، ذمًّا للتقعّر في الكلام.

---

1 – المصدر نفسه: 67 .

2 – المصدر نفسه: 83 .

3 – المصدر نفسه: 69 .

وخُرِق مبدأ الطريقة في قوله: "ما فائدة أن نتطاول في البنيان، وعلى مقربة من البرج سجن، يدور في أروقته ما يدور في المسالخ"[1]، فإضافة القيد: وعلى مقربة من السجن ... بعد الجملة الاسمية فيه التباس إذا انتزعنا الجوانب التداولية له، فما فائدة الجار والمجرور (على مقربة) في الجملة؟ يستطيع المتلقي فكّ الالتباس في التعبير من خلال مراعاة السياق، وقَصْد التعبير: أنْ لا جدوى من التطاول في البنيان إذا كان الإنسان مسلوب الحقوق في نفس المكان والزمان، ويؤيد ذلك قول الكاتب في المقال نفسه: "القضية باختصار: قبل بناء الجدران علينا أن نبني الإنسان"[2]، ففسّر السياقُ الخرقَ في مبدأ الطريقة، ثمّ إن السياق التركيبي يساهم أكثر في توضيح انتهاك مبدأ الطريقة، فالخبر في (ما فائدة أن نتطاول..) مضاف إلى المصدر المؤوّل من أن والفعل المضارع، وجملة (وعلى مقربة من البرج سجن، يدور في أروقته ...) المبتدأ موصوف بجملة فعلية، فعلها فعل مضارع؛ فتوظيف الفعلين المضارعين أفاد أن استمرار التطاول في البنيان لن يُثمر بفائدة إذا استمرّ معه انتهاك حقوق الإنسان.

ويبرز انتهاك مبدأ الطريقة (الوضوح) في معظم عناوين المقالات، مثل مقال: "كذب ضمن الضوابط الشرعية"[3]، ويفسِّر السياقُ الاستلزامَ، والسياق هنا المقال كله، ويقصد الكاتب بالعنوان الأكاذيبَ التي تنشر تحت اسم (دراسات علمية) بدوافع الانتشار أو إضفاء المصداقية عليها.

وانتهاك مبدأ الطريقة وقاعدة الوضوح ينطبق على معظم عناوين المقالات نحو: "الجفاف العاطفي"[4]، "السادة وكالة ناسا: لا تفضحونا"[5]، "إنهم يسرقوننا"[6]،

1 – وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، أدهم شرقاوي: 81 .
2 – المصدر نفسه في الصفحة نفسها.
3 – المصدر نفسه: 97 .
4 المصدر نفسه: 119 .
5 – المصدر نفسه: 127 .
6 – المصدر نفسه: 133 .

"قانون ضد القانون"[1]، "هذا ما قالوه لي"[2]، ... وغيرها كثير؛ ويعود انتهاك الكاتب لمبدأ الطريقة (الوضوح) في عناوين مقالاته؛ إلى السعي إلى تشويق القارئ إلى قراءة المقال وفهم الالتباس الحاصل من هذا الانتهاك، فيكون العنوان محفّزا للقراءة من خلال الإبهام.

وبناءً على نظرية غرايس وتطبيقها على الكتاب، يتضح أن الأصل في الكلام أن يجري وفق مبدأ التعاون، فيكون مناسبًا للسياق وأبعاده التداولية، مراعيًا مبادئ الكم والكيف والملاءمة والطريقة، أو قد يتعمّد الكاتب أن ينتهك بكلامه واحدا من هذه المبادئ أو أكثر، فيتولد عن ذلك تأويلات دلالية يستطيع المتلقي الوصول إليها باعتماد آليات الاستلزام الحواريّ.

References

- Abd al-Hussein Al-Fatli **Fundamentals in Grammar**, investigation, Al-Risala Foundation, Beirut - Lebanon, vol.: 3, d.t.: 2/324.
- Abd al-Rahman ibn Hassan Habankah al-Maidani al-Dimashqi (d.: 1425 AH), **Arabic Rhetoric**, Dar al-Qalam, Damascus, al-Dar al-Shamiya, Beirut, I: 1: 1416 AH - 1996 AD / 2/152.
- Abdel Moneim Abdullah Al-Suyuti **The Aesthetics of Dialogue Implication in the Holy Qur'an, a Pragmatic Stylistic Study**, , PhD thesis supervised by: Dr. Ibrahim Mahmoud Awad, and Dr. Huda Attia Abdul Ghaffar.
- Abdel Moneim Abdullah Al-Suyuti **The Aesthetics of Dialogue Implication in the Holy Qur'an, a Pragmatic Stylistic Study**, a doctoral thesis by the researcher, supervised by: Dr. Ibrahim Mahmoud Awad, and Dr. Hoda Attia Abdel Ghaffar, Ain Shams University, Egypt: 2020: 33.

1 – المصدر نفسه: 140 .

2 – المصدر نفسه: 159 .

- Abdul-Hadi Bin Dhafer Al-**Shehri Strategies of Discourse _ A Pragmatic Linguistic Approach**, Dar Al-Jadeed Al-Muttahidah House, Beirut_ Lebanon, vol.: 1, 2004.: 39.
- Abu al-Fadl Ahmad bin Muhammad al-Maidani (d.: 518 AH) **Majma' al-Athbulah**, investigator: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Ma'rifah, Beirut_Lebanon, Dr: I, Dr. T: 1/64.
- Abu al-Fadl Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Hajar al-Asqalani (d.: 852 AH) **Al-Isaba fi Tamayyiz al-Sahaba,** investigation: Adel Ahmad Abd al-Mawjud and Ali Muhammad Moawad, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah - Beirut_ Lebanon, vol.: 1 : 1425 AH: 2/189.
- Abu Bakr Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman al-Jurjani (d. 471 AH) **Evidence for Miracles in the Science of Meanings**, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, Egypt, 3rd edition, 1413 AH, 1992 AD.
- Abu Uthman Amr bin Bahr Bal-Jahiz (T: 255 AH) **Al-Bayan wal-Tabyeen**, , presented to him by: Dr. Ali Bu Melhem, Al-Hilal Library and House, Beirut_Lebanon, Dr. I: 1423 AH: 1/129.
- Ahmed bin Ibrahim bin Mustafa Al-Hashemi (T.: 1362 AH) **Jawaher Al-Balaghah in the meanings, the statement and the beautiful**, , control, verification and documentation: Dr. Youssef Al-Sumaili,: Modern Library, Beirut_ Lebanon, Dr. I, Dr. T: 201.
- And when the newspapers are published, Adham Sharqawi: 52.
- Divan Al-Hatia, explained by Ibn Al-Sakit and Al-Sijistani, investigation: Noman Amin Taha, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press, Cairo_Egypt, Dr. I, Dr. T: 284.
- Dr. Ahmed Al-Mutawakil Functional Linguistics **A Theoretical Introduction**, The United New Book House, Beirut_ Lebanon, ed: 2, 2010: 29.

- Dr. Mahmoud Ahmad Nahla. **New Horizons in Contemporary Linguistic Research,**
- Dr. Mahmoud Ahmed Nahla **New Horizons in Linguistic Research**: 37.
- Dr. Salah Ismail **Theory of Meaning in the Philosophy of Paul Grace**, Dar Quba Al-Haditha, Cairo, Egypt, Dr. I, 2007: 78.
- Dr.Taha Abdel Rahman **Tongue and Balance or Mental Reproduction**, Arab Cultural Center, Casablanca_Morocco, Beirut_Lebanon, vol.: 1, 1998: 29.
- **Evidence for Miracles in Semantics,** investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, Egypt, 3rd edition, 1413 AH, 1992 AD: 263.
- Hajar Norma Wahdiya **The Dialogue Implication in Surat Al-Baqarah in the Holy Qur'an_A Descriptive, Analytical, Pragmatic Study_** University research by the researcher:, supervised by Dr. Andus Noor Hadi: Maulana Ibrahim State Islamic University Malang, Indonesia: 2010: 62.
- Issa Tomy **Pragmatic Dimensions in the Quranic Discourse _ Surat Al-Baqara as a Model_**, master's thesis, supervision: Dr. Dalila Mazuz, Mohamed Kheidar University. Biskra, Algeria: 2015: 60.
- **Miftah al-'Ulum**, edited it and wrote its margins and commented on it: Naim Zarzour, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, vol.: 2, 1407 AH - 1987 AD .: 330.
- Noureddine Boznasha **Al-Hajjaj between the Arabic Rhetorical Lesson and the Western Linguistic Lesson _a Contrastive Comparative Study_** a doctoral thesis, supervised by: Dr. Khalifa Boujadi, Mohamed Lamine Debaghine University, Setif 2, Algeria: 2016: 370.
- Paul Grace **Logic and Dialogue**, translated by: Muhammad al-Shaibani, Saif al-Din Daghfus, published in the book: **Perspectives on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century,** a collection of articles translated by a group of professors,

supervised by: Dr. Izz al-Din Majdoub, Tunisian Academy of Sciences, Literature and Arts (House of Wisdom), Carthage_Tunisia, vol.: 1, 2012.

- Paul Grace **Logic and Dialogue,** translated by: Muhammad al-Shaibani, Saif al-Din Daghfus, article in the book: Perspectives on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century: 621.
- Philip Blanchet **Pragmatics from Austin to Goffman**, translated by: Saber Al-Habasha, Dar Al-Hiwar for publication and distribution, Lattakia_Syria, vol.: 1, 2007.
- The book, investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo_Egypt, I: 3, 1408 A.H., 1988 A.D.: 1/224.
- William James Durant (d.: 1981 AD), **The Story of Civilization**: presented by: Dr. Muhyiddin Saber, translated by: Dr. Zaki Najeeb Mahmoud and others, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, the Arab Organization for Education, Culture and Science, Tunisia, Dr. T: 1408 AH - 1988 AD: 23/70.

Dialogue Implications in the Contemporary Article According to the Principle of Collaboration by Paul Grace A book and if newspapers were published by Adham Sharkawy as a model

Ahmed Saleh Diab*

Abdullah Khalif Khudair**

Abstract

* **Lect/ Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**

** **Asst.Prof/ Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**

This research deals with the dialogic imperative in the book (and if the newspapers were published) by Adham Sharkawy according to the theory of the principle of cooperation by Paul Grace, and it will include the definition of the dialogic imperative, and the theory of the principle of cooperation by Grace, and then divided into four demands according to the principles included in the theory (the principle of quantity, the principle of quality , the principle of appropriateness and the principle of method or method), and Paul Grace's theory represents one of the most important deliberative investigations, and it received a share of research, treatments and reviews, and we preferred to apply it to the contemporary article, taking from Adham Sharkawy's book as a model for the role played by dialogic implica- tion in the article. Intended used by the writer to perform communicative purposes with the recipient.

Keywords: article, pragmatic, Adham Sharkawy